﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ٤١ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ٤٢﴾ [الذاريات: 41 - 42]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلهما:

السّياق القرآنيّ وثيق الترابُط، ومعانيه مُتَسَلْسِلَة بدِقَّةٍ ولُطف

ذكر البقاعيُّ وجهَ التَّناسُبِ بين هاتين الآيتين وما قبلهما، فقال: "لمّا أتمَّ قِصَّةَ مَن جُمع له السَّحابُ والماء والنّارُ والرّيح - أي: قصَّة هلاك فرعون وجنودِه - أتبعَها قصَّة مَن أتاهم بريحٍ ذاريَةٍ لم يوجد قطُّ مثلُها - أي: قصَّةَ هلاك عادٍ قوم هودٍ - وكان أصلُها موجودًا بين ظَهْرانيهم، وهم لا يشعرون، بل قاربت الوصول إليهم، وهم يَظُنّونها ممّا يَنْفَعُهُم، فقال: ﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ﴾"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡعَقِيمَ﴾: أصل العُقْم: اليُبس المانع من قبول الأثر، يُقالُ: عَقُمَت مفاصله، وداء عُقامٌ: لا يقبل البُرء، والعَقيمُ من النِّساء: الَّتي لا تَقبل ماء الفحل[2]، ويوم عَقيمٌ: لا فرح فيه[3]، ويوم القيامة يومٌ عَقيمٌ؛ لأنَّه لا يوم بعده[4]، والرّيحُ العَقيم: هي الخَليَّةُ من المَنافعِ الَّتي تُرجى لها الرّياحُ من إثارةِ السَّحابِ وسَوْقه، ومِن إلقاحِ الأشجار بنقلِ غُبرَةِ الذَّكَرِ من ثِمارٍ إلى الإناثِ من أشجارها، فهي الرّيحُ الَّتي لا نَفْعَ فيها، أي: هي ضارَّةٌ[5].

2) ﴿تَذَرُ﴾: أصلُ (وذر) يدلُّ على القَذْفِ والتَّرْكِ[6]، يُقالُ: فُلانٌ

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 18/ 470.
(2) الراغب، المفردات: (عقم).
(3) الراغب، المفردات: (عقم).
(4) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (عقم).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 11.
(6) الأزهري، تهذيب اللغة، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (وذر).

يَذَرُ الشَّيءَ، أي: يَقذفه لِقلَّةِ اعتِداده به، ومن ذلك الوَذَرَة، وهي قِطعةُ لحمٍ صغيرةٍ، سُمّيت بذلك لِقلَّة الاعتداد بها، والجمع: وُذَر[1]، والعَرَبُ قد أماتتِ المَصْدر من (يَذر) والفِعْل الماضي، واستَعْملته في الحاضِر والأمر، فإذا أرادوا المَصْدر؛ قالوا: ذَرْه تَرْكًا[2]، والمُراد بالفِعل ﴿تَذَرُ﴾ هنا التَّرْكُ، أي: ما تَترُكُ من شيءٍ مَرَّت عليه[3].

3) ﴿كَٱلرَّمِيمِ﴾: أصلُ (رمم) يدُلُّ على بلاءِ الشَّيءِ، يُقال: رَمَّ الشَّيءُ؛ إذا بَلِيَ[4]، والرِّمَّةُ بالكسر: العظام البالِيَةُ، والجمع: رِمَمٌ ورمامٌ، تقول منه: رَمَّ العظمَ يَرِمُّ - بالكسر - رَمَّةً، أي: بَلِيَ، فهو رميم[5]، والرُّمَّةُ من الحَبل - بِضَمِّ الرّاء - ما بَقي مِنهُ بعد تَقَطُّعه، وجَمعها: رِمَم، ومن هذا يُقال: أعطيتُه الشَّيءَ بِرُمَّته، أي: بجماعَتِه[6]، والمُرادُ بالرَّميم في الآيةِ: البالي أشدَّ البِلى.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الرّيحُ الَّتي أُهلِك بها قومُ عادٍ مُفْسِدَة مُبيرَةٌ؛ لا تدع شيئًا أتت عليهِ نافِعًا

كذلك تَرَكْنا، وخلَّفْنا - لِمن يخافون العذابَ الأليم - في قصَّة عادٍ قومِ هودٍ ﷺ عِبَرًا ودروسًا وعِظاتٍ عظيمةَ التَّرهيب من الكفر والعصيان، تلك العِبر قد تحقَّقَت فيهم حين سلَّطنا عليهم الرّيح المهلكةَ، الخاليةَ من كلِّ خير، المُتمحِّضة لكلِّ شَرٍّ، القادمة عليهم بالهلاكِ والتَّدمير.

إنَّها ريحٌ خطيرة؛ إذ لا تَمُرُّ بِشيءٍ أراد الله تعالى تدميرَهُ وإهلاكه - مِن قوم عادٍ وما يتعلَّق بهم من حيوانٍ وأشجارٍ وزروع وغيرها - إلّا صيَّرته هشيمًا، وخلَّفته وراءها مفتَّتًا كأنَّه العظامُ البالية، وكأنَّه النَّباتُ المتيبِّس، الَّذي ديسَ بلا اعتناءٍ، فتمزَّق، وتفتَّت.

(1) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (وذر).
(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (وذر).
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 14/ 25.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رمّ).
(5) الجوهري، الصحاح: (رمم).
(6) الأزهري، تهذيب اللغة: (رمم).

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى (الواو) في قوله: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا﴾:

(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ عاطفةٌ قصَّةَ هلاكِ عادٍ قومِ هود ﷺ على قصَّة هلاك فرعونَ، "فهو عطفُ حدَثٍ على حدث"[1]، والمعنى: وكذلك في خبرِ عادٍ مع نبيِّهم هودٍ ﷺ وقصَّةِ هلاكهم، آياتٌ وعِبَرٌ لِمن يعتَبِر من أهل الإيمان بالاقْتِساء بهودٍ ﷺ، وتَعَلُّم الصَّبر والثَّبات في طريق الحقِّ، وعِبَرٌ لأهل الكُفْرِ حَذَرًا من مصير الظّالمين، مثل غرقِ فرعونَ ومَلَئِه، وتدمير عادٍ ومُتَعَلَّقاتهم.

قصصُ الهالكينَ مِـــنَ الأمـــم الكافرة مشحونَةٌ بـــالآيـــات والعِظات

معنى (في) في قوله: ﴿وَفِي عَادٍ﴾:

(في) في قوله: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ ظرفيَّةٌ، توحي بأنَّ قصَّة هلاك عادٍ، كأنَّها بمُسْتَوْدَعٍ أودعت فيه الحِكَمُ والعِبَرُ والعِظات، والآيات النّافعة لِمَن تدبَّرها، ونَظَرَ فيها نظَرَ مسترشِدٍ إلى الحقِّ والصَّواب.

انطواءُ قِصَّة عادٍ على عِبَرٍ مُتَكاثِرَةٍ

ثُمَّ إنَّ الحرف (في) يُحرِّك الهمَّة إلى البحث في قصَّة عاد، والتِقاط دقائق العِبَر منها، ويُلمح إلى أنَّها منطويةٌ على كثير مِن العظات النّافعة والدُّروس النّاجعة؛ لذا كانت من أكثر القِصَص ورودًا في القرآن الكريم.

دلالةُ التَّصريح بالاسمِ العلَم ﴿عَادٍ﴾:

في التَّصريح باسم ﴿عَادٍ﴾ تبغيضٌ للنّاس فيهم، وتحذيرٌ لهم من سُلوك طريق الكُفْرِ الَّذي يؤدّي إلى مثل مَصيرهم، وتخويفٌ لقُريشٍ مِن أن يَتوارث النّاس إهلاكَ اللّه تعالى لهم؛ إن هم سلكوا مسلكَ عادٍ.

التَّذكيرُ بأسماء الطُّغاة يبغِّض سُلوكَهُم

وفي التَّصريح بِذكر عاد "تسليةُ قَلْبِ النَّبيِّ ﷺ وتذكيرُه بحال

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 14/ 526.

الأنبياء"[1]، "ولَم يَذكر في عادٍ وثمودَ أنبياءَهم، كما ذكر إبراهيم وموسى ولوطًا عليهم الصَّلاة والسَّلامُ؛ لأنَّه ذكَر ستَّ حكايات، حكاية إبراهيم وبشارته، وحكاية قوم لوطٍ ونجاة مَن كان فيها من المؤمنين، وحكاية موسى، ففي هذه الحكايات الثَّلاث ذَكَر الرُّسل والمؤمنين؛ لأنَّ النّاجين منهم كانوا كثيرين، فأمّا في حقِّ إبراهيم وموسى؛ فظاهرٌ، وأمّا في حقِّ لوطٍ؛ فلأنَّ النّاجين، وإن كانوا أهْلَ بَيْتٍ واحد؛ لكنَّ المُهلَكين أيضًا كانوا أهل بُقْعَةٍ واحدة، وأمّا عادٌ وثمودُ وقوم نوحٍ؛ فكان عدد المُهلَكين بالنِّسبة إلى النّاجين أضعافَ المهلكين من قوم لوطٍ ﷺ"[2].

"فذِكْر الحكايات الثَّلاث الأوَل - إبراهيمَ ولوطٍ وموسى - للتَّسلية بالنَّجاة، وذِكْرُ الثَّلاث المتأخِّرة - عادٍ وثمودَ وقوم نوحٍ - للتَّسلية بإهلاك العدوِّ، فالجميعُ مذكور للتَّسلية، بدليل قوله تعالى في آخر هذه الآيات: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢﴾ [الذاريات: 52]، إلى أن قال: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ۝٥٤ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات: 54 - 55]"[3].

تبشيعُ مَصيرِ قومِ عادٍ والتَّحذير من سُلوك سَبيلهم

بلاغةُ تقديم ﴿عَادٍ﴾ على الفِعل:

في تقديم ﴿عَادٍ﴾ على الفعل في قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ﴾ تبشيع لمصيرهم، وتهديدٌ بمِثْلِ هلاكهم، وتنفيرٌ من سلوكهم، وإلّا لقيل في غير القرآن الكريم: وأرسلنا على عادٍ الرّيحَ العقيم، فتأخيرُ ذكرهم يهوِّن من أثَر الوعيد في نفوس المُتَلَقّين.

وتقديم اسم ﴿عَادٍ﴾ وبناءُ الجملةِ على ذلك، وإدخالُ حرفِ الاستعلاءِ عليه - كما جاء في قوله: ﴿وَفِي عَادٍ﴾ - يجعل قِصَّة

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 183، بتصرف.
(2) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 18/ 94.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 183، بتصرف.

هلاكِهم مستودَعًا للآيات والعِبَر، ويجعل التَّحذير من الهلاك، والمصيرَ إلى مثل مصيرهم، حاضرًا بِقوَّة لدى المخاطَب.

دلالةُ التَّعبير بـ ﴿إِذْ﴾ في قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ﴾:

﴿إِذْ﴾ ظرفُ زمانٍ يُعبَّرُ به عن "الوَقْت الماضي، والمستقبل في الأصَح، وتلْزم الظَّرفيَّة ما لم يُضَف لَها زمانٌ"[1]، وهي في قولِه تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ بمعنى (حين)، أي: "حين كذَّبوا نبيَّهم هودًا عليه السلام"[2].

التَّذكيرُ بالوقت في الذِّكْرِ الحكيم استحضارٌ لأحداثه للنَّظر والاعتبارِ

والمقصود بالتَّذكير بالوقت استحضارُ أحداثه، والنَّظر فيها بعين الاعتبار، والحَدَثُ هنا: إرسالُ الله تعالى على عادٍ الرِّيحَ العقيمَ، الَّتي وصفَها القرآنُ الكريم بالصَّرصر، ووصفَ أيّامها بالنَّحِسات في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [فُصِّلت: 16]، ووَصَفها بالعتوِّ، وأيّامَها ولياليَها بالحُسوم في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: 6 - 7]، وفي تَطاوُل أيّام عذابهم ولياليه عليهم دليلٌ على عِظَم ظلمهم لأنفسهم وطغيان فُجورهم، وذلك واضح في قولهم: ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: 15]؛ لذلك كانت قِصَّتهم مستودعًا للعِبَر والآيات الَّتي يَعْتَبِرُ بها أولو الألباب.

دلالةُ التَّعبير بفعل الإرسال مادَّةً وصيغةً:

إهلاك العُتاة يسيرٌ على الله تعالى

الإرسال في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ يعني: التَّسليطَ، والمعنى: "سلَّطنا عليهم الرِّيح الشَّديدة"[3]، الَّتي استأصَلَتهُم، ولم تُبقِ منهم باقيةً، وفي التَّعبير بالإرسال إيحاءٌ بيُسر إهلاكهم، وأنَّه كان بمجرَّد تكليفٍ لِجُند من جنود الله تعالى برسالة.

(1) السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: 2/ 171.
(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 811.
(3) السمرقندي، بحر العلوم: 3/ 346.

وفي إيثار التَّعبير بالإرسال هنا دون البعث - على الرُّغم ممّا في البعث من معنى الإثارة - معنى التَّهكُّم بـ ﴿عَادٍ﴾؛ إذِ الرَّسول يقتضي حملَ رسالة إلى المرسَل إليه، والرِّسالة هنا مُبيرةٌ مهينةٌ مذِلَّة؛ لأنَّها تكليفٌ بالعذاب والتَّدمير؛ وذلك مناسِبٌ لاستكبارهِم؛ إذ (قالوا مَنْ أَشَدُّ مِنّا قوَّةً)، فتحَقَّق فيهم عَدْلُ الله تعالى بأن جاء جَزاؤُهُم مِن جنسِ عَمَلهم.

وفي صوغ الإرسال فعلًا ماضيًا إيحاءٌ بسُرْعَة استجابة الرّيح والقطع بالتَّنفيذ؛ لأنَّ تكليفها كان ممَّن إذا أراد شيئًا؛ قال له: كن فيكون، وفي ذلك تهديدٌ شديد لقريش المَغْنيَّة بالتَّعريض بالتَّعذيب والإهلاك؛ وذلك بسَوْق قصص هلاك الأمم الكافرة قبلها من أبناءِ جِلْدَتهم مِن العرَبِ وغيرِهم.

دلالةُ إسنادِ الإرسال إلى ضمير العظمة:

العظيمُ سُبْحانَه إنَّما يُرْسِل عظيمًا بأمرٍ عظيمٍ

إسنادُ الإرسالِ إلى ضمير العظمة في قوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ أبرُّ بالمقام، وأنسبُ للسّياق، وأظهر لقوَّة العذاب الَّذي جاءت به الرّيح العقيم، وأنَّه قطعًا إرسالٌ مدمِّرٌ مُفْنٍ؛ لأنَّه تكليفٌ وإرسال على قدر المُرسِل، وبعظمة جبروته ﷻ، لذلك كانت ريحًا عقيمًا، لا تدع شيئًا مرَّت به، وأتت عليه، إلّا أهلكته، وتركته رميمًا باليًا فانيًا، فالعظيمُ سبحانه إنَّما يُرْسِل عظيمًا بأمرٍ عظيمٍ.

نكتةُ تقييد الإرسال بالجارِّ والمجرور ﴿عَلَيْهِمُ﴾:

إرسالُ الرّيح عليهم كانَ إرسالَ تعذيبٍ وإهلاكٍ

يتعدّى فعلُ الإرسال غالبًا بحرف الجرِّ (إلى)، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: 42]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [النمل: 45]، إلى غير ذلك، لكنَّ الإرسال عُدّي بـ (على) في قوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾.

و(على) هنا في قوله: ﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ﴾ حرفٌ دالٌّ على

الاستعلاءِ، وهي تَقْضي بأنَّه "إرسالُ عُلوٍّ وأخْذٍ"[1]، وتُقَرِّر قوَّةَ تسليطِ الرّيح عليهم، وتُلْمِحُ إلى شدَّة سَيْطَرَتِها عليهم، وعدمِ تمكُّنهم من الفرار منها، وأنَّها كانت طاغيةً طُغيانًا كبيرًا، كما جاء صريحًا في الآية الكريمة: ﴿فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾ [الحاقة: 6].

معنى (أل) في ﴿ٱلرِّيحَ﴾، ولطيفةُ إيثارِه على (الرياح):

الـرّيـاحُ إذا كـثُرت؛ سبَّبت المـطـر، وزكَّـت الـزَّرْعَ والثَّمر، وإذا تـوحَّدت؛ وُصفت بالعُقْمِ

(أل) في ﴿ٱلرِّيحَ﴾ دالَّةٌ على الكمالِ، وهي تُفيدُ خُطورَتَها، وأنَّها كأنَّها الرّيح الَّتي لا ريحَ أعتَى منها، وأنَّها الرّيح الكاملة في خصائص الرّيحيَّة، الفاتكة بِهم.

وأوثر التَّعبير بـ ﴿ٱلرِّيحَ﴾ هنا دون (الرياح)؛ جريًا على غالبِ مَهْيَع النَّظم الكريم في الاستعمال، فعن الخَطّابيِّ أنَّ "الرّياح إذا كثُرت؛ جلبتِ السَّحابَ، وكثُر المطر، وزكَّت الزَّرْعَ والثَّمار، وإذا توحَّدت؛ تَكون عقيمة، والعرب تقول: لا تلقح السَّحاب إلّا من رياح، ومعناه أنَّه موافقٌ للتَّنزيل، فإنَّ استعماله للرّيح مطلقًا -أي: بلا قيدٍ- في العذاب، وللرّياح مطلقًا في الرَّحمة"[2].

دلالةُ وصف ﴿ٱلرِّيحَ﴾ بـ ﴿ٱلْعَقِيمَ﴾، ولطيفةُ صوغِه على (فعيل):

إذا أراد اللـه تـعـالـى؛ أتـى بـالـضُّـرِّ مِـن مكمَن النَّفع

الأصل في الرّيح أنَّها تجيء محمَّلة بالخير، بل والحياة للأحياءِ كلِّها، ولكنَّ هذه النِّعمةَ قد صارت نقمةً على القوم الضّالّين[3]، فوصفها بـ ﴿ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾، أي: "الرّيح الشَّديدة الَّتي لا تُلْقِحُ شيئًا، وليس فيها رحمةٌ ولا نباتٌ، ولا تُلْقِحُ نباتًا، وفي الحديث الشَّريف: «نُصِرتُ بالصَّبا، وأُهلِكت عادٌ بالدَّبورِ»[4].

ووُصِفت بالعقم؛ لأنَّها أهلكتهم، وقطعت دابرَهم، ولم تتضمَّن خيرًا ما، مِن إنشاء مطرٍ، أو إلقاح شجرٍ، وهي النَّكْباء أو الدَّبور أو الجنوب"[5].

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 18/ 480.
(2) الصديقي، مجمع بحار الأنوار: 2/ 391.
(3) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 14/ 526.
(4) رواه البخاري في صحيحه، رقم: (1035)، ومسلم في صحيحه، رقم: (900).
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 8/ 142.

وصيغَ وصف ﴿ٱلۡعَقِيمَ﴾ على وزن المبالغة (الفعيل) مبالغةً في وصفها بالخلوِّ من النَّفع، وعدم رجاء الخير منها قطُّ، وتمحُّضها للضُّرِّ والتَّدمير، فـ"أهلكهم هلاكَ الاستئصالِ"[1].

بلاغةُ الاستعارة في ﴿ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ﴾:

في وصف ﴿ٱلرِّيحَ﴾ بـ ﴿ٱلۡعَقِيمَ﴾ استعارة مكنيَّة؛ إذ "شُبِّه ما في الرّيح مِن الصِّفة الَّتي تَمنع مِن إنشاء مطرٍ أو إلقاح شجرٍ بما في المرأة مِن الصِّفة المذكورة التي تَمنَعُ مِنَ الحمل"[2]، ثُمَّ حُذِف المشبَّهُ (المرأة)، وأُثبِتَت صفتُها، وهي (العُقم) لـ ﴿ٱلرِّيحَ﴾.

قدرةُ الله تعالى تَجعَلُ في الشَّيء الواحد الضُّرَّ للكافرين، والنَّفع للمؤمنين

أو هو استعارةٌ تصريحيَّة، كأنَّه شبَّه عدمَ تضمُّنِ المنفعةِ بِعُقْم المرأة، فـ (فعيل) بمعنى (فاعل) من اللّازم، وهو استعارةٌ تبعيَّة، شُبِّه إهلاكهم وقَطْعِ دابرِهم بِعُقْم النِّساء، وعدم حملهنَّ؛ لِما فيه مِن إذهاب النَّسْل، ثُمَّ أُطْلِق المشبَّهُ به على المشبَّه، واشتُقَّ منه العَقيم، و(فعيل) فيه بمعنى: فاعل أو مفعولٍ[3].

وعلى كلا التَّصوُّرَيْن في التَّعبير بـ ﴿ٱلۡعَقِيمَ﴾ مبالغةٌ في خلوِّ هذه الرّيح مِن أسباب النَّفع كلِّها بالنِّسبة للكافرين، أمّا بالنِّسبة للمؤمنين كهودٍ عليه السلام، ومَن معه من المؤمنين رضي الله عنهم؛ فكانت لهم روحًا وراحة لا عليهم[4]، فسبحان من جمع فيها الضِّدَّيْن للفريقين!

والعرب يَكرهون العُقم في مواشيهم، أي: هي ريحٌ كالنّاقة العقيم لا تُثْمِر نسلًا ولا دَرًّا، فكان في وصْف الرّيح بالعُقْم تشبيهٌ بليغٌ في الشُّؤم، كما قال الله تعالى: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ۝٥٥﴾ [الحج: 55][5].

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 18/ 471.
(2) القِنّوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن: 13/ 206.
(3) الآلوسي روح المعاني: 14/ 16.
(4) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 18/ 471.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 12.

علَّة فصل قوله: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ﴾ عمّا قبله:

إثبـاتُ الضَّـرر للرّيح بعد نَفْيِ النَّفعِ عنها

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾، عن قوله قبلُ: ﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ﴾؛ لأنَّ "جملة: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ صفةٌ ثانيةٌ لـ ﴿ٱلرِّيحَ﴾، أو حالٌ منها، فهو ارتقاءٌ في مضرَّة هذا الرّيح، فإنَّه لا ينفع، وأنَّه يَضُرُّ أضرارًا عظيمة"[1].

معنى ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ﴾:

حـكـايَـةُ الحـال المـاضـيـة لاسـتِـحـضـار بـشـاعَـتِـهـا وشِدَّتها

﴿مَا﴾ في قول الله تعالى: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ نافيَةٌ؛ لإفادة عُموم نفي الحُكم، و﴿مَا﴾ هي الَّتي هيَّأت؛ لتكوين جملة القصر وبنائها عليها، وهي تفيد النَّفي حالَ التَّكلُّم، يقال: ما يخرج زيد، أي: الآن، وإذا أردتَ المستقبل؛ تقول: لا يخرجُ، أو: لن يخرجَ، وأمّا الماضي؛ فتَقولُ: ما خرج، ولَم يَخْرُج.

والرّيح حالَ الكلام مع النَّبيِّ ﷺ كانت ما تركت شيئًا إلّا جعلته كالرَّميم، فالحكاية مقدَّرَةٌ على أنَّها محكيَّة حالَ الوقوع، ونظيرُهُ قول الله تعالى: ﴿وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ﴾ [الكهف: 18]، مع أنَّ اسم الفاعل الماضي لا يَعمل، وإنَّما يعمل ما كان منه بمعنى الحالِ والاستقبالِ[2]، فهو لحكاية الحالِ[3].

دلالةُ التَّعبير بالفعل ﴿تَذَرُ﴾ مُضارِعًا:

جـنـودُ الـلـه تـعـالى لإهـلاكِ الـعُـتـاة لـها تمييزٌ، فتَتَسلَّط عـلى الـكـافـريـنَ ومُتَعلَّقاتهم

معنى الفعل ﴿تَذَرُ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ﴾، أي: ما تدَعُ[4]، وما تترك[5]، فكأنَّ تلك الرّيحَ لها إرادةٌ وعقل، وأنَّها تبحث عن أفراد قوم عادٍ وجماعاتِهم وتَستَقصيهِم، وتُحَدِّد

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 12.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 184.
(3) ابن هشام، شرح قطر الندى، ص: 270.
(4) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 540.
(5) السمرقندي، بحر العلوم: 3/ 346.

ما يتعلَّق بهم من منافعَ، مِثْل الحيوانِ، والأشجار، والزُّروع، وغيرها لتُدَمِّرها.

وصيغَ الفعل ﴿تَذَرُ﴾ مضارِعًا "لاستحضار الحالةِ العجيبة"[1]، وتفيد المضارَعَةُ أيضًا تجدُّدَ عموم النَّفي تجدُّدًا يجعل مَن تمرُّ به تلك الرّيحُ، وتأتي عليه رميمًا باليًا، ويقرِّر أنَّ تلك الصِّفة فيها متجدِّدة مستمرَّة باستمرارِ إرسالِها عليهم، وعلى غيرهم ممَّن يقضي اللّه تعالى عليهم بذلك، ففيه تعريضٌ بالتَّهديد لقريش، وتلويحٌ بأنَّ هذه الصِّفة باقية مهيَّأة في الرّيح لهلاكهم؛ إن تمادَوا على الكفر والظُّلم، كما تمادَى قومُ عادٍ.

توجيهُ إعرابِ ﴿مَا تَذَرُ﴾:

تـنـوُّع المـعـاني وثراؤُها باختلافِ تَنَوُّع الإعرابِ

في إعراب قوله تعالى: ﴿مَا تَذَرُ﴾ وجهان: أحدهما: نَصْبٌ على أنَّه صِفَةٌ للرّيح بعد صفة ﴿ٱلْعَقِيمَ﴾؛ وذلك بإعادة ﴿ٱلرِّيحَ﴾ تقديرًا، كأنَّه يقول: وأرسلنا عليهم الرّيح العقيم ريحًا ما تذَرُ، أو على أنَّ المعرَّف نكرةٌ؛ لأنَّ تلك الرّيح منكَّرة، كأنَّه يقول: وأرسلنا الرّيح الَّتي لم تكن من الرّياح الَّتي تقع، ولا وقع مثلُها، فهي لشِدَّتها منكَّرة، ولهذا أكثَرُ ما ذكَرَها في القرآن منكَّرةً، ووَصَفَها بالجملة، ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الأحقاف: 24].

والوجه الآخر – وهو الأصحُّ –: أنَّه نُصِبَ على الحال، والمرادُ به البيان بالصَّلاحيَّة، أي: أرسلناها، وهي على صلاحيةِ ألّا تذرَ شيئًا أتت عليه إلّا جعلتهُ كالرَّميم، هذا إن قلنا: إنَّه نُصِبَ، وهو المشهور.

ويَحْتَمِل أنَّه رُفِع على أنَّه خبرُ مبتدأ محذوفٍ، تقديره: هي ما تَذَرُ[2].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 11.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 184.

معنى ﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن شَيۡءٍ﴾:

إذا حـــلَّت أسبـابُ إهـلاك الاستـئـصـالِ؛ أتت الريح على كلِّ شيء كُلِّفَت بـه

﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ صِلَةٌ لتأكيد النَّفي[1]، وبيانِ عُمومه كلَّ شيء، فيكون أصلُ الجملة: ما تذر شيئًا إلّا جعلتهُ كالرَّميم.

دلالةُ التَّعبير بلفظ ﴿شَيۡءٍ﴾:

شـــدَّةُ الـرّيـحِ الـعـقـيـم في إهلاكِ قومِ عادٍ ومُتَعلَّقاتهم

التَّعبير بلفظ ﴿شَيۡءٍ﴾ في قولهِ تَعالى: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ﴾ يوغِل في الاستقصاءِ والعُموم، أي: إنَّ تلك الرّيح لا تَترُك شيئًا أيَّ شيءٍ يخصُّ هؤلاء الطُّغاة "من أنفُسِهم وأنعامهم وأموالهم إلّا أهلَكَتهُ"[2]، وتسلَّطت عليه، فرمَّته، وأفنته، والشَّيء هنا: عامٌّ مخصوص، أي: مِن شيءٍ أراد الله تعالى تدميرَهُ وإهلاكَه من ناسٍ، أو ديار، أو شجر، أو غير ذلك، وقد روي أنَّ الرّيح كانت تَمُرُّ بالنّاسِ فيهم الرَّجُل مِن عادٍ، فتَنْتَزِعُه مِن بينِهم، وتُهْلِكه.[3].

دلالةُ التَّعبيرِ بفعل الإتيان ماضيًا دون المجيء:

حُـلـولُ الـهلاك بـالـعُـتاة يكون سريعًا

عبَّر النَّظمُ الكريم بمفردة الإتيان دون المجيء في قوله تعالى: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾؛ "لأنَّ الإتيان مَجيءٌ بسهولة"[4]، ولا أسهل من مجيء الرّياح؛ لِخفَّة وزنها، وتخللها الأماكن، وتسللها داخلَ الأشياء، والمقصود بـ ﴿أَتَتۡ عَلَيۡهِ﴾، أي: جرَت عليه[5]، وأفنَتهُ، ودَمَّرته، وهكذا يوحي التَّعبير بالإتيان بأنَّ حُلولَ الهلاك بالعُتاة إنَّما يكون سريعًا وسهلًا.

وفي صَوغ فعل الإتيان ماضيًا في ﴿أَتَتۡ﴾ إشارةٌ إلى سُرعة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 11.
(2) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 378.
(3) الآلوسي روح المعاني: 14/ 17.
(4) أبو البقاء، الكليات، ص: 34.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 8/ 142.

إهلاكِ الرّيح العقيم قومَ عادٍ وإتلافها ما أتت عليه، وأنَّه حَصَل، وتحقَّقَ، وطوي سريعًا.

نكتةُ تقييدِ الإتيان بالجارِّ والمجرور ﴿عَلَيۡهِ﴾:

لجنودِ الهلاك الإلهيِّ على العُتاة المُهلَكين سُلطانٌ قاهِر

في تقييد فعلِ الإتيان بالجارِّ والمجرور ﴿عَلَيۡهِ﴾، في قوله تعالى: ﴿أَتَتۡ عَلَيۡهِ﴾، دلالةٌ على أنَّ إهلاكها "إنَّما هو بالفاعل المختار، فنبَّه على ذلك بأداةِ الاستعلاء، فقال: ﴿أَتَتۡ عَلَيۡهِ﴾، أي: إتيان إرادةِ مرسِلِها استعلاءً على ظاهرِهِ وباطنه[1]"، وهكذا يقطع التَّقييد بـ (على) بأنَّ لجنود الهلاك الإلهيِّ على العتاة المهلَكين سلطانًا قاهرًا؛ إذا نزل بهم، فلا قوَّة بهم للمقاومة أو الهروبِ.

بلاغةُ الاستثناء بـ ﴿إِلَّا﴾:

حَصْرُ أثَرِ الرّيح في الإهلاكِ والإتلافِ

﴿إِلَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ استثنائيَّة، وبها تتمُّ جملة القصر، ويكتمِل بناؤُها، فتفيد قصرَ تدمير تلك الرّيح على حالٍ واحدة هي جَعْلُ مأتيّها البغيض رميمًا أو كالرَّميم إتلافًا وتهشيمًا.

دلالةُ التَّعبير بفعل الجَعْلِ ماضيًا:

عوامِلُ إهلاك الطُّغاة تفعَلُ فيهم فِعلَها، وتصيِّرهم كما أُمِرت

في التَّعبير بالجعل في قوله تعالى: ﴿جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ يعني التَّصيير والتَّحويل، وأنَّ ﴿ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ﴾ تحوِّلُ كلَّ شيء جَرَت عليه، وتصَيِّرُه فَتيتًا مثلَ الرَّميم؛ كنايةً عن انعدام صلاحيَّته بعدَ ذلك أبدًا.

وفي التَّعبير بالجَعْلِ دلالةٌ على أنَّه جَعْلٌ مقصودٌ، مرسومةً حدودُه وأبعادُه وتفاصيلُه كافَّةً، وأنَّ الرّيح فعلت فيه فِعلَها، وتركت فيه أثرَها، كما أُمِرت، وكما أُذِن لها.

بلاغةُ التَّشبيه في قوله: ﴿جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾:

السّورة التَّشبيهيَّة القرآنيَّة أدلُّ الصّوَرِ وأبينُها عن المقصودِ

التَّشبيه في قول الله تعالى: ﴿جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ كاشِفٌ عن المعنى المقصود، مُبينٌ عن الحالِ الَّتي صيَّرتهم الرّيحُ العقيمُ عليها؛ إذ

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 18/ 471.

هشَّمتهم، وأبلَتهم، وخلَّفتهم وراءَها، مثل فُتات الخشَبِ والتِّبن والتُّراب[1]، ومثل العظام الباليَة[2]، ولا أوجز من وصف الرَّميم؛ للدَّلالة على كلِّ ذلك دَفْعَةً واحدةً.

معنى (أل) في ﴿كَٱلرَّمِيمِ﴾، ولطيفةُ صوغِه على (فعيل):

(أل) في ﴿كَٱلرَّمِيمِ﴾ لتعريف العهد العلميِّ، أي: الرَّميم المعلوم في الأذهان ببلوغه في التَّفتُّت والتَّحلُّل مبلغ الرِّمَّة، الَّتي لا يُرجى منها نفْعٌ قطُّ، بل هي إلى إثارة الاشمئزاز منها وإلى التَّضرُّر بها أقربُ.

عناصِرُ الصّورة التَّشبيهيَّة في الذِّكر الحكيم أجمَعُ لإيحاءاتِها

وأصل الكلمة مِن رَمَّ العظمُ؛ إذا بَلِيَ[3]، والرَّميم: التُّرابُ، أو الَّذي ديسَ من يابِس النَّبات، أو هوَ الرَّمادُ، أو الشَّيءُ البالي الهالك[4]، فاصطفاءُ مفردة (الرّميم) مشبَّهًا به هنا أدقُّ عُنصرٍ لُغويٍّ لتحرير الصّورة، الَّتي صار إليها قومُ عاد ومتعلَّقاتهم بعد فعل الرّيح العقيم فيهم فعلَها، وأبينُ عن مقصودها، وأجمعُ لإيحاءاتها الكريهةِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الرَّمّ والخَلَق والتَّحلُّل والبِلى:

اشتراكُ الألفاظ الأربعة في الدَّلالة على التَّغيُّر والتَّلف والانحلال، لكنَّها تختلف في جهة التَّغيُّر وزَمَنه وسَببه

الرَّمُّ يدلُّ على فُتات الشَّيء بعد تكسُّره وتآكله، وغالبًا يُقالُ في العِظام البالية، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨﴾ [يس: 78]، فهو دالٌّ على التَّفتُّت بعد يَبَسٍ وطولِ زمَن.

وأمّا التَّحلُّل؛ فيدلُّ على الانفكاك والانفصام التَّدريجيِّ، ويُستعمل في الجسم والمواد المُركَّبة، وهو أوسع استعمالًا، فيقال: تحلَّل الجَسَدُ، وتحلَّلت المادَّةُ، ففيه معنى الذَّوبان والانفصال.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 14/ 17.
(2) القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن: 13/ 207.
(3) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 108.
(4) الماوردي، النكت والعيون: 5/ 373.

والخَلَق يدلُّ على الاهتراء؛ بسبب كثرة الاستعمال، كقولهم: "ثوبٌ خَلِق"، فهو تلفٌ بالاحتكاكِ والاستخدامِ المُتكرِّر.

وأمّا البِلى؛ فيدلُّ على تآكُل الشَّيء نقصانًا مع مرور الزَّمن، وهو أعمُّ من "الخَلَق"، ويشمل الأجسادَ الحيَّةَ والجماداتِ[1].

أمّا الجامع الدَّلاليُّ بينها؛ فكلُّها يدلُّ على التَّغيُّر والفناء التَّدريجيِّ للشَّيء بعد أن كان قائمًا، سواءٌ أكان ذلك بفِعل الزَّمن، أو بكثرة الاستعمال، أو بتغيُّر التَّركيب.

(1) ابن منظور، لسان العرب، ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (رمم/ رم - خلق/ بلي).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والخمسون،
سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 57 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-650-27-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 57 : المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-650-27-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4331956 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"